

القبة والطير

أو
مثال من رسوم الملوك والآله في دولة المماليك

بمصر كما وردت في صورة فارسية
بقلم مدام ر. ل. ديفونشير : تريب محمود عكروش

لقد زاد الاهتمام في العهد الأخير زيادة لم نعهد من قبل بالصور التي تتحلّى بها المخطوطات الفارسية وظهرت عنها مطبوعات لطيفة كالتى صدرها السير توماس ارنولد والدكتور مارتين والمستر لورنس بينون والمسير برونيه والدكتور كويهن وغيرهم فاصبح السبيل مهبداً امام الجمهور للاستفادة من هذه الطرف المعصورة

ومادت هذه التسهيلات عى المشتغلين بدراسة التاريخ الاسلامي بالنفع الجزيل لكثرة المعلومات التي اصبح من الممكن الحصول عليها بامعان النظر في هذه الطرف . وليس الامر في ذلك قاصراً على الصور النادرة التي تمثل بعض المسلمين بهيئاتهم وملاصيحهم بل لان هذه الطرف تجمع ايضاً كثيراً من التفاصيل انفية من زخرفة البيوت وادواتها وزينتها والازياء وغير ذلك وقد تملكني الفرح بينما كنت اقلب بعض الصور الجميلة التي طبعت في مجلة «ذي ستوديو» من ديوان النظامي المحفوظة اصولها في المتحف البريطاني وعني المستر لورنس بالكلام عليها اذ عثرت بينها على صورة تمثل احد ملوك فارس من القرن الثاني عشر الميلادي فيها بعض رسوم الملوك التي كان يشغلها بعض سلاطين المماليك وكنت اتلطف للاطلاع عليها من زمن طويل وهي صورة « القبة والطير » المتعدد ذكرهما في وصف مواكبهم الملوكية اثناء حكمهم على مصر والشام وفي الشكل رقم ١ صورة سمح لي بنقلها من الاصل المحفوظ بالمتحف البريطاني يرى فيها السلطان سنجر وهو على فرسه يستمع لامرأة عجوز وقتت تحتج عليه بسبب اطلاقه عنان الحربة لجنوده وعلى رأس السلطان المظلة الملوكية وفوقها الطير الذهبي يحملها احد الفرسان وهو في زيه الجميل

(١) نشرت هذه المقالة في مجلة « ايوغر » الانكليزية في الجزء الرابع عشر في العدد رقم ٨٢ شهر نوفمبر سنة ١٩٣١ بموافق
An Egyptian Mameluke Feature in a Persian Miniature,
by Mrs R. L. Devonshire.

7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
26
27
28
29
30
31
32
33
34
35
36
37
38
39
40
41
42
43
44
45
46
47
48
49
50
51
52
53
54
55
56
57
58
59
60
61
62
63
64
65
66
67
68
69
70
71
72
73
74
75
76
77
78
79
80
81
82
83
84
85
86
87
88
89
90
91
92
93
94
95
96
97
98
99
100
101
102
103
104
105
106
107
108
109
110
111
112
113
114
115
116
117
118
119
120
121
122
123
124
125
126
127
128
129
130
131
132
133
134
135
136
137
138
139
140
141
142
143
144
145
146
147
148
149
150
151
152
153
154
155
156
157
158
159
160
161
162
163
164
165
166
167
168
169
170
171
172
173
174
175
176
177
178
179
180
181
182
183
184
185
186
187
188
189
190
191
192
193
194
195
196
197
198
199
200
201
202
203
204
205
206
207
208
209
210
211
212
213
214
215
216
217
218
219
220
221
222
223
224
225
226
227
228
229
230
231
232
233
234
235
236
237
238
239
240
241
242
243
244
245
246
247
248
249
250
251
252
253
254
255
256
257
258
259
260
261
262
263
264
265
266
267
268
269
270
271
272
273
274
275
276
277
278
279
280
281
282
283
284
285
286
287
288
289
290
291
292
293
294
295
296
297
298
299
300
301
302
303
304
305
306
307
308
309
310
311
312
313
314
315
316
317
318
319
320
321
322
323
324
325
326
327
328
329
330
331
332
333
334
335
336
337
338
339
340
341
342
343
344
345
346
347
348
349
350
351
352
353
354
355
356
357
358
359
360
361
362
363
364
365
366
367
368
369
370
371
372
373
374
375
376
377
378
379
380
381
382
383
384
385
386
387
388
389
390
391
392
393
394
395
396
397
398
399
400
401
402
403
404
405
406
407
408
409
410
411
412
413
414
415
416
417
418
419
420
421
422
423
424
425
426
427
428
429
430
431
432
433
434
435
436
437
438
439
440
441
442
443
444
445
446
447
448
449
450
451
452
453
454
455
456
457
458
459
460
461
462
463
464
465
466
467
468
469
470
471
472
473
474
475
476
477
478
479
480
481
482
483
484
485
486
487
488
489
490
491
492
493
494
495
496
497
498
499
500
501
502
503
504
505
506
507
508
509
510
511
512
513
514
515
516
517
518
519
520
521
522
523
524
525
526
527
528
529
530
531
532
533
534
535
536
537
538
539
540
541
542
543
544
545
546
547
548
549
550
551
552
553
554
555
556
557
558
559
560
561
562
563
564
565
566
567
568
569
570
571
572
573
574
575
576
577
578
579
580
581
582
583
584
585
586
587
588
589
590
591
592
593
594
595
596
597
598
599
600
601
602
603
604
605
606
607
608
609
610
611
612
613
614
615
616
617
618
619
620
621
622
623
624
625
626
627
628
629
630
631
632
633
634
635
636
637
638
639
640
641
642
643
644
645
646
647
648
649
650
651
652
653
654
655
656
657
658
659
660
661
662
663
664
665
666
667
668
669
670
671
672
673
674
675
676
677
678
679
680
681
682
683
684
685
686
687
688
689
690
691
692
693
694
695
696
697
698
699
700
701
702
703
704
705
706
707
708
709
710
711
712
713
714
715
716
717
718
719
720
721
722
723
724
725
726
727
728
729
730
731
732
733
734
735
736
737
738
739
740
741
742
743
744
745
746
747
748
749
750
751
752
753
754
755
756
757
758
759
760
761
762
763
764
765
766
767
768
769
770
771
772
773
774
775
776
777
778
779
780
781
782
783
784
785
786
787
788
789
790
791
792
793
794
795
796
797
798
799
800
801
802
803
804
805
806
807
808
809
810
811
812
813
814
815
816
817
818
819
820
821
822
823
824
825
826
827
828
829
830
831
832
833
834
835
836
837
838
839
840
841
842
843
844
845
846
847
848
849
850
851
852
853
854
855
856
857
858
859
860
861
862
863
864
865
866
867
868
869
870
871
872
873
874
875
876
877
878
879
880
881
882
883
884
885
886
887
888
889
890
891
892
893
894
895
896
897
898
899
900
901
902
903
904
905
906
907
908
909
910
911
912
913
914
915
916
917
918
919
920
921
922
923
924
925
926
927
928
929
930
931
932
933
934
935
936
937
938
939
940
941
942
943
944
945
946
947
948
949
950
951
952
953
954
955
956
957
958
959
960
961
962
963
964
965
966
967
968
969
970
971
972
973
974
975
976
977
978
979
980
981
982
983
984
985
986
987
988
989
990
991
992
993
994
995
996
997
998
999
1000



(ش ١) السلطان مسخر على فرسه يستمع لمعجور (المتحف البريطاني)

ونشر ميرو بلوشيه في كتابه « صور المخطوطات النارسية والتركية من مكتبة الاذهنية »
 طبع باريس سنة ١٩١٠ صورة اخرى تمثل هذه الواقعة تصفا وهي من عمل محمود الخزوق
 المشهور في سنة ٩٥٢ هجرية الا ان المظلة المرفوعة على رأس السلطان كانت ترفعها « كوة »
 بدلاً من الطير . وهناك صور اخرى فيها مظلات محمولة على رأس السلطان ولكن لم نذكر
 بينها على مظلة واحدة عليها الطير

ويوجد في المناظر الموضوعة عن بلاد الشرق وافريقية وفي بعض المؤلفات اثنتا عشرة عديدة
 من المظلات التي كانت تعد من شعار الملوك^(١)

ومن أقدم هذه الامثلة صورة من النقوش البارزة في مدينة بيرسيبوليس (تشييل منار)
 بالقصر الاخيميبي تمثل الملك اكرسيس ماشياً وبعض حجابيه يحمل المظلة على رأسه (لوحة
 ١٥ من كتاب « الفن ييلاد فارس القديمة تأليف سار ») . وقد ارشدني ميرو بلوشيه الذي
 تطف وساعدني مساعداً قيعة في هذا البحث الموجز الى ان المظلات الصينية والاندلسية كانت
 حراء اللون ولها حاشية يختلف لونها عن اللونين الاصفر والذهبي المستعملين في منار
 واورد كارمير عدة نصوص عن المظلات الملوكية في بلاد الاسلام في ترجمة السلوك لدمترزي
 المسماة « سلاطين الممالك » وفي ترجمة « سلاطين الملوك » لرشيد الدين

وذكر ابن بطرطه عن بعض حكام القسطنطينية - ممن لم نعرف شخصيتهم لآن - انه
 اكرمه برفع « الجتر » على رأسه . وقد اطلعت في كتاب مختصر التاريخ لفضل بن ابي
 الفضائل (يا تولوجيا اورينتالي) طبع بلوشيه ص ٥٢٦ على قصة لاحد الامراء وكان معجباً
 بحمل الجتر على رأسه . ونقل كارمير من « كتاب تاريخ دولة آل سلجوق » لفتح بن علي
 ابن محمد البنداري الاصفهاني ان السلطان سنجر في حربه مع الخطاي في عدد قليل فقال له
 الامير ابو الفضل صاحب سجستان « قد احذقت بنا العساكر ودارت علينا الدوائر فاني بنفك
 لاقف مكانك تحت الجتر » . وقال الكولونيل ز . ب . جنريل في كتابه « مختصر تاريخ ملوك
 هندستان أو مملكة الملوك » على ما رواه عنه بلوشيه ان محمد شاه . . . توفي في ٢٢ ربيع
 الثاني . . . واخفت زوجته المعروفة باسم « ملك زمني » موته خفية من حصول اضطراب
 وكتبت الى كبير الوزراء تخبره بذلك وتطلب اليه الحضور بان السلطان وكان صغيراً الى دهلي
 على جناح السرعة فعند له الوزير جترأ وفي اليوم التالي حبل الجتر على رأس الامير في مقدمة
 الجيش اعلاناً بارتقائه عرش السلطنة

وما ورد في هذه النصوص وسواها لا يمدد الكلام فيه الجتر او المظلة التي على هيئة قبة

(١) قال ابن خلكان في كلامه من تاريخ الاندلس : وحمل لرسق (ووردريك) على سريره وقد وقع على
 رأسه رواق ديباج يظله (ج ٢ ص ١٢٨) للمرب

ولأذكر فيها للظير . وفي سيرة صلاح الدين ومن خلفه من الملوك من بني أيوب في مصر والشام لم يرد ذكر شيء من آلات الشنك . وربما كان السبب في ذلك تحميمهم عن هذه المظاهر خليفة بغداد . أما خلفاء القاضيين في مصر فهم اتخذوا المظلة في مواكبهم الرسمية وقد ذكرها المؤرخون بنقشها العربي « المظلة » ومعناه الشيء الذي يستظل به . وقد وصف ناصر خسرو موكب الخليفة المستنصر وكان قد شاهده وعلى رأسه المظلة وذكر المقرزي عن المسيحي المظلة المذهبة التي كانت الخليفة العزيز والظاهر أنه لم يكن عليها ظير بدليل أن القلقشندي أيضاً لم يذكره ضمن وصف الآلات الملوكية في « المواكب العظام » على أيام النساطيين . وكذلك ذكر المقرزي المظلات واقضب من القضة والذهب في تعداد ما كان في خزائن المستنصر من الذخائر . ولم يذكر طيوراً من الذهب ولو كانت موجودة وقتئذ لما اغفل ذكرها

ويظهر أن أحد أرباب الوظائف في العهد الناطمي كان مكلفاً حمل المظلة لأن زيدان الذي قُتِل برجوان الوزير على يده بأمر الحاكم في سنة ٩٩٩ ميلادية كان يلقب « بصاحب المظلة » وفي عهد المهاليك كان الذي يقوم بهذه الخدمة أمير له المقام الأول بين الأحرار وبني السلطان في المرتبة ويكون في أعقاب الأحياء « أتياك العسكر » وكثيراً ما كان السلطان يقتل ويختلفه في الحكم من كان يقوم له بهذه الخدمة^(١) . وفي عهد المهاليك أصبح الظير ملازماً للقبه لأن جميع المؤرخين المعاصرين لهم كانوا إذا وصفوا مركباً من المواكب المصرية ذكروا « القبة والظير » (شكل رقم ٢) وقد أتى ابن أياس على ذكر ما لا يقل عن اثنين وعشرين سلطاناً اتخذوا القبة والظير لهم شعاراً وأكثر هؤلاء السلاطين من الدولة الثانية للمهاليك الجراكسة ويكادون يكونون معاصرين له . وما يحسن بنا الإشارة إليه أن من لم يذكر ابن أياس في كلامه عنهم القبة والظير ذكره غيره من المؤرخين فراه مثلاً لم يذكرها في كلامه عن لاجين سنة ١٢٩٦م ولكن المقرزي على ما ذكره عنه لين بول في تاريخ مصر من ٢٩١ يقول أن الأمير بيسري حمل له القبة الملوكية فوق رأسه . وقال المفضل (طبع بلوشيه من ٤٧٧) أن « بيسري » حمل القبة أيضاً على رأسه بركة ابن بيسر الكبير وقد فات ابن أياس أن يذكر ذلك في كلامه عن هذا الأخير ، وفيما بعد نرى أبا الحسن يستوفي ما اغفله ابن أياس كما فعل في كلامه عن الملك الظاهر ططر سنة ١٤٢١م ولقد بحث المؤرخون في أمر « القبة والظير » فقال لين بول أنها مظلة تعمل من حرير

(١) جاء في كلام المقرزي عما كان يسلم يد صلاة اليمين (ج ٢ من ٢٢٩) على عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون قوله : ويخضع على حامل القبة والظير وعلى حامل السلاح والامتداد والماشتكير وكثير من أرباب الوظائف . ويؤخذ من ذكر صاحب هذه الوظيفة قبل غيره من الأحرار أنه كان مقدماً عليهم

1978-1979



(شكل ١٢) القبة وانظير



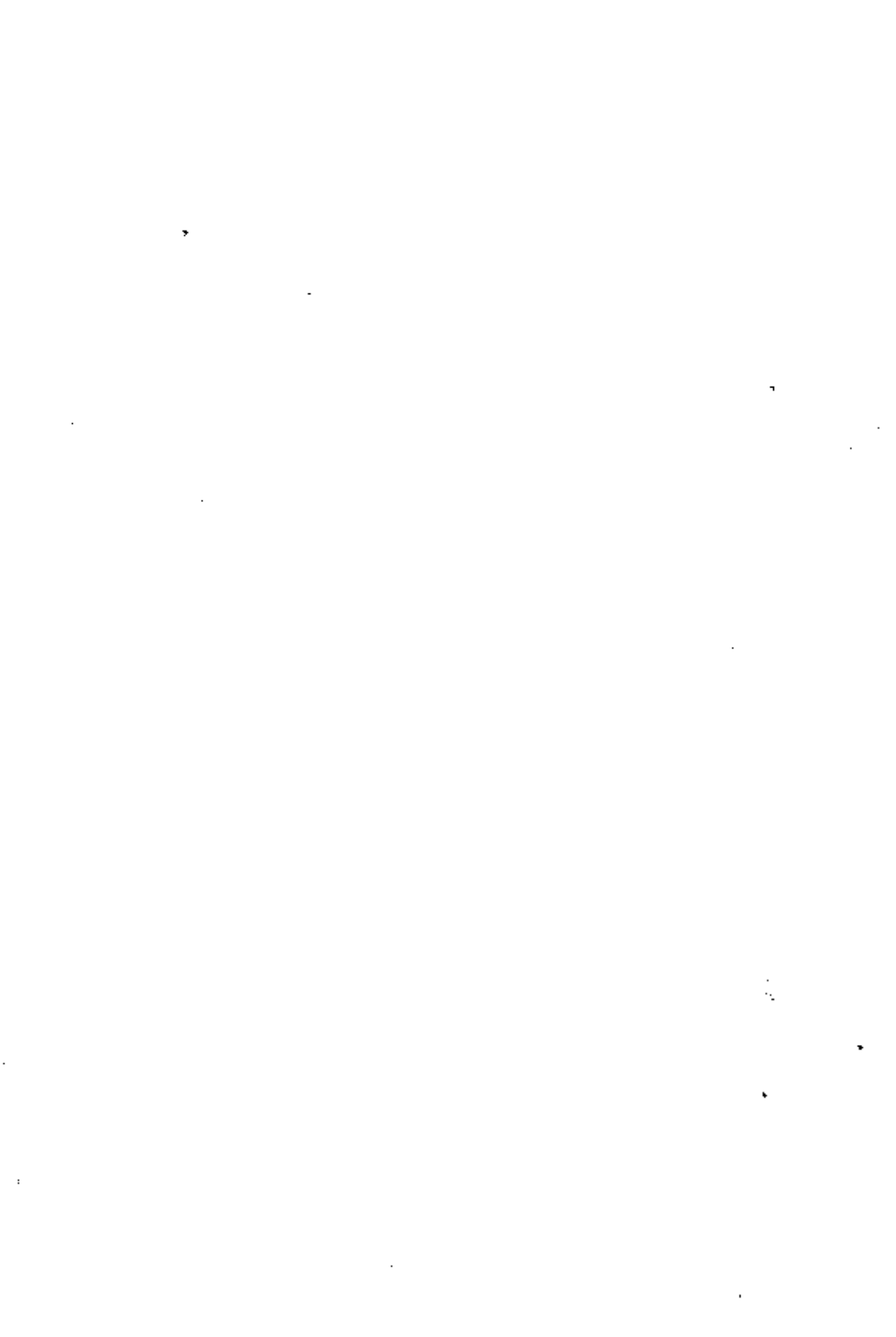
اصفر يعطرز بالذهب وتخرج بطير من ذهب جاثم على قبة من ذهب وهو وصف لم اشر على ما يؤيده وقد يكون معدره خطأ في ترجمة قول التفتشدي ان المظلة على هيئة قبة . وقد شرح القريري وابن خلدون وغيرهما كيف اهتمت كلمة مظلة العربية واستعمل بدلاً منها اللفظ الهندى القديم « جتر » الذي له المعنى نفسه ^(١) . وجاء في رحلة ابن بطوطه وهي رحلة صلية رغم ما يتخللها من التوائنص الآتي وهو على جانب من الاهمية : « والسلطان هناك (دهلي سنة ١٣٢٠ م) يعرف بالشطر (جتر) الذي يرفع فوق رأسه وهو الذي يسمى بديار مصر التبة والطيور ويرفعها في الامبياد واما بالهند والسين فلا يضارق السلطان في سفر ولا حضر »

وقد اطلق ابن بطوطه على للمظلة اسم التبة والطيور وذلك في كلامه عن مصر خاصة ولكنه سماها جترآ في الكلام عن غيرها فقال عن « منسى سليمان » سلطان « مالي » الواقعة على النيجر سنة ١٣٥٣ م : « ويرفع له (فوق مجلس السلطان بالشور) الشطر وهو يشبه قبة من الحرير وعليه طائر من ذهب على قدر البازي » . ويؤيد هذا الخبر مؤلف آخر وهو العسري الذي ترجم كتابه اخيراً بمعرفة مسيو جود فروا دومومين احد مشاهير المشتغلين بدراسة ذلك العهد من التاريخ الاسلامي فقال في بعض تعليقاته انه يظن ان هذه العادة نشأت في مصر . وفي الواقع نجد في قول العسري وفي كلام القريري ان موسى بن ابي بكر الذي كان متولياً الحكم قبل منسى بن سليمان سافر الى مصر والحجاز في سنة ١٣٢٣ م اثناء حكم الملك الناصر محمد بن قلاوون . وقد تجددت الآن الفكرة القائلة بان اتخاذ الطير او الباز كشعار يرجع في الاصل الى المثل بدلالة ما يرى في الصور الفارسية . وفي المكتبة الاهلية صورة على جانب عظيم من الاهمية ضمن مائته مسيو بلوشيه بعنوان « الصور والكتب الخطية الشرقية الموجودة في المكتبة الاهلية » ، وقد نشرتها الجمعية الفرنسية لنقل الكتب الخطية والصور (سنة ١٩١٤ - ٢٠، نوحه ١٩) وهي تحتوي على صورة محفة للسلطان محمود غازان ملك المثل بقارس (١٣٠٤ م) . وهي اذا وقع النظر عليها بدت قريبة الشبه بالمظلة وقد علاها طير من الذهب او المعلق المموره بالذهب . ويظهر انه باز او صقر وفي الصورة مظلتيان لاطير عليهما مطويتان ومربوطتان من اعلاهما اشارة الى وقت الصباح وفيها ايضاً ذيل فرس . وكان المثل والترك يتخذانه علماً وفي صورة اخرى (شكل رقم ٣) ذبول من هذا القبيل ولكنها بيضاء لا سوداء . وقد نقلت في كتاب

(١) وقد ذكر القريري الجتر مراراً في كلامه عن السلطان محمد بن طنق شاه (ج ٢ ص ١٢٤) وقال في كلامه عنه ايضاً : « اذا خرج في قصره من موضع الى آخر يمر راكباً وعلى رأسه الجتر والسلاح دائرية ورامه بايديهم السلاح وحوله نحو اثني عشر الف مملوك مشاة لا يركب منهم الا حامل الجتر (ج ٢ ص ١٢٥)

« الصورة لمسيو بلوشيه المتقدم ذكره . ويشاهد في هذه الصورة تيمورتكين (الذي صار فيما بعد جنكيز خان) جالساً على عرش صيني وفرقه الطير الذهبي جاثماً على ظهر العرش لاعتى مظلة كشعار الملك . وهذه الصورة والتي قبلها منقولتان من المكتبة الاصلية عن نسخة من تاريخ المغل لرشيد الدين كتبت في تبريز في اوائل القرن الرابع عشر . ولم تفرد هذه الصورة بوجود طير من ذهب جاثم فيها على ظهر عرش الملك بل هناك صورة ثانية في الصفحة ٩١ من النسخة الخطية تمثل ايضاً جنكيزخان (شكل رقم ٤) وصورة ثالثة تمثل ارغون خان (سنة ١٢٨٤ — ٩١) — وكل من هؤلاء جالس على العرش بتلك الهيئة . والصورة الاخيرة (شكل رقم ٥) على غاية من الحسن وهي من المستندات القيمة التي تمثل الملابس وغيرها وقد ظهر الطير فيها بشكل واضح . واذا اعتبرنا الباز من شعار الملك عند المغل فيكون وضعه على المظلة من عمل المماليك التركان الذين يرجع الى عهدهم دخول كثير من التقاليد المغنية في مصر وذلك بالمصاهرة بين ملوك البلدين والتجاء كثير من المهاجرين الى مصر قبل الاشارة على بلادهم . وقد عرفني مسيو جان ديني من كبار العلماء المشغولين بتاريخ قدماء الترك ان طائفة كبيرة من مؤرخي الترك في العهد الحاضر ممن وقفوا على مصادر كثيرة مجهولة يذهبون الى ان الباز كان من شعار خاقان قبائل اويغور الكبرى المتحالفة وهم اجداد السلجوقيين والعمانيين . وقد كان هذا التحالف يجمع اربع طوائف من ست قبائل على رأس كل طائفة منهم خان شعاره طائر ابي باز (طغول طغان طغرى وغير ذلك) . ولهذا الطائر على ما يظهر اساطير عديدة ومع ان مسيو جود فروا دومومين لم يسلم بتلك الاقوال فقد نقل عن مسيو مينورسكي انه يجد في هذا الطائر « نوتم » قدماء السلجوقيين فهل يكون هذا الطائر من تقاليد عصر الحثيين القديم ؟

وكانت القبة والطير في مصر محفوظان في الوردخانة المملوكية ويستحضران منها كلما قضت بذلك شؤون المملكة فلما حاول المستعين بالله الخليفة العباسي ان ينادى به كسلطان على دمشق في سنة ١٤١٢ م لم يذكر ابن اياس القبة والطير في وصف الموكب الذي عمل له ولكن لما وصل الى مقر الحكم بالقاهرة الاتابك شيخو الذي تولى السلطنة بعد بضعة شهور عوضاً عنه باسم الملك المرشد حملت المظلة المملوكية فوق رأسه وربما كانت قد استحضرت خصيصاً لهذه الغاية واذا اتينا الى آخر سلطان من المماليك بمصر وهو السنيء الحظوظ مان باي سنة ١٥١٦ م نجد ابن اياس يقول انهم لم يجدوا له في الوردخانات قبة ولا طيراً بل ولا سرجاً من ذهب لقرمه والظاهر ان القبة والطير لم يكونا موجودين عند مبايعة قايتباي بالسلطنة لان ابن اياس لما روى خبر الباسه شعار الملك غضباً وهو يمنع قال ان هذا السلطان الذي كان مبتعاً اذن

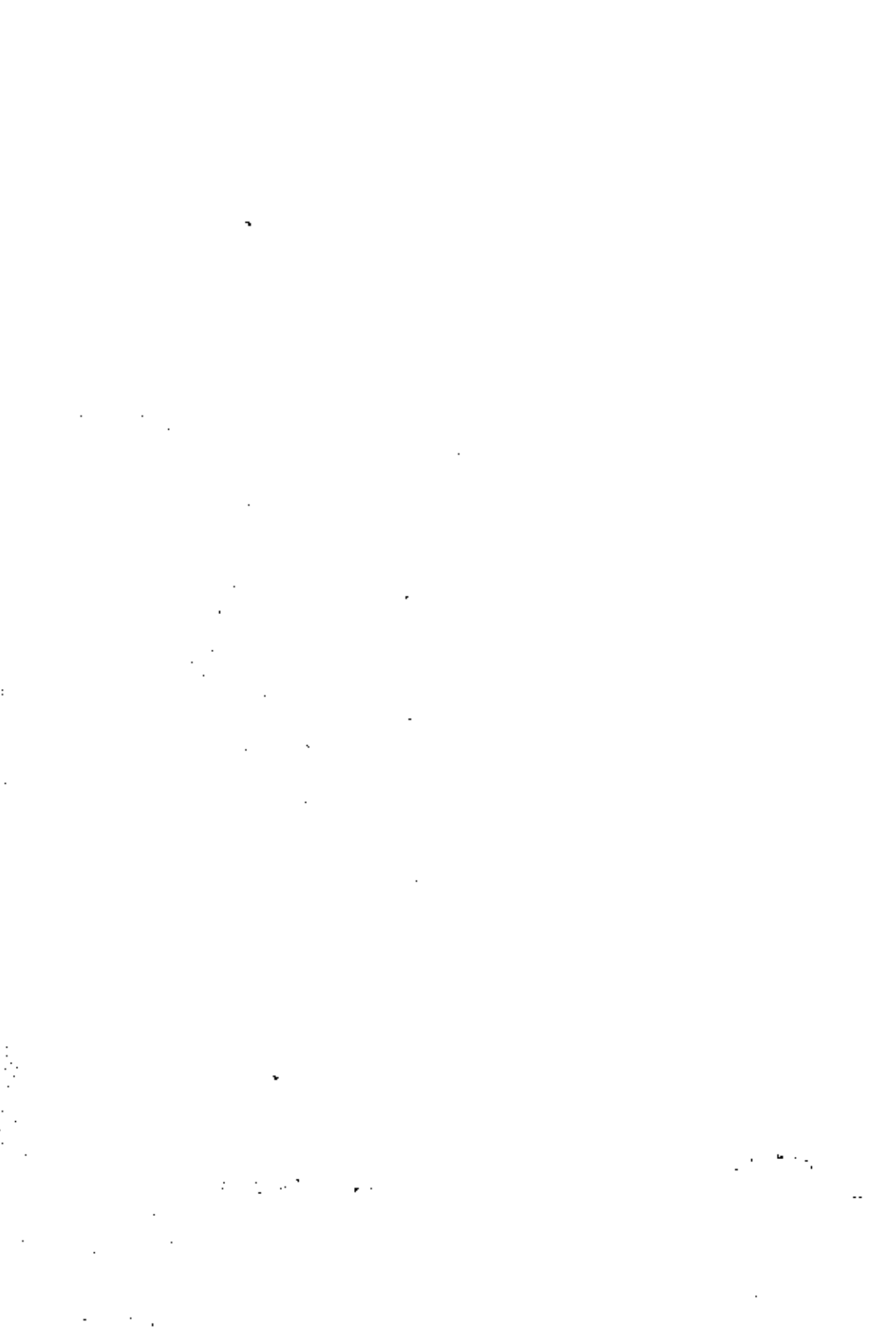




(من ٣) بيورنلين (الذي دعى ميا بعد جنكيز خان) على عرش صليبي

امام صفحة ٥٠

مقتطف يونيو ١٩٣٢





(ش ٥) ارغون خان علی عرشہ

للأمير جاني بك قنصير أمير سلاح بأن يفرد السجق السلطاني على رأسه لعدم حضور القبة والطير من الزردخانه

•••

وفي أثناء تعريب هذه النسخة طلبت مني حضرة السيدة ديقوشير ان لخصها بالكلمة الآتية:
قالت: بعد مضي عدة شهور من كتابة هذا البحث اتفق لي كما يقع كثيراً أن عثرت على مثال آخر ذي شأن في فقرة أوردها ابن اياس الذي تعففت كتابه مراراً جاء فيها: ان القبة والطير حملتا على رأس امرأة وهي خوند زينب زوجة السلطان اينال في طلوعها الى قلعة القاهرة بعد عودتها من الحج في سنة ٨٦١

وفي الوقت الذي عثرت فيه على هذا الطبر وجدت صورة اخرى لقبية السلطانية وفوقها الطير في كتاب تاريخ المغل رشيد الدين الذي نشره جناب سيو بلوشيه
وقد ظهر الآن الجزء الرابع من تاريخ ابن اياس الذي عني بطبعه سيو پول كاهل ومحمد مصطفى بالاستانة، مشتملاً على حوادث المئة من سنة ٩٠٦ الى سنة ٩٢١ اي خلال حكم الغوري وانفتح العثماني بقلم هذا المؤرخ الذي كان معاصراً لهذه الحوادث وشاهد اكثرها ودون عنها معلوماته

وقد تعطل جناب الدكتور مكس مييرهوف وكل يعرف سبله لمساعدة المشتغلين بمثل هذه المباحث فاستخرج من هذا الجزء تكملة لهذا البحث ويسرني جداً ان اقدمها للقراء وهي:
« جمادي الاولى سنة ٩١٧ »

« وفي يوم السبت نزل السلطان من القلعة وتوجه الى محوقة الامير يشيك التي بالمطرية . . . وكان السلطان قصد ان تحمل على رأسه القبة والطير فموه الامراء عن ذلك وقالوا له ما هي عادة ان السلطان اذا خرج الى المطرية تحمل على رأسه القبة والطير
« فرجع عن ذلك »

شوال سنة ٩٢٠

« ثم طلع الى الذهبية^(١) وعرض الصناجق السلطانية والقبة والطير وقد غير الطير الذهب الذي كان فوق القبة وجعل مكانه هلال ذهب »

وفي ذي الحجة سنة ٩٢٠ وقع الهلال وانكسر: وقد ذكر المؤلف بعد ذلك ان الطير كان قد حصل له مثل ذلك في عهد السلطان قايتباي
ر. ل. ديقوشير

(١) من اللغات السلطانية التي كانت بالفتح عمرها السلطان الملك الصالح عماد الدين اسماعيل في سنة ٧٤ هجرية